

العقل المصرى... والاجتهاد مقومات الاجتهاد (1)



[vehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:vehiatrakhawy@hotmail.com)

نشرة "الإنسان" 2020/12/26

المنة الرابعة عشرة - العدد: 4864

بروفيسور يحيى الرخاوى - الطب النفسى، مصر

مرة أخرى نلقى بالكرة مشتتة ربما ترتطم بمدارات عقولنا الثابتة، إذ تفتح باب الحديث عن "الاجتهاد" رمز حرية العقل وليل شجاعة التفكير، وقبل أن ألقى بدلوى فى هذه القضية، أولًا أن أحذر من خدعة تصور أن الحديث عن ظاهرة ما هو فى ذاته فعل مُعْنٍ، إذ ينبغى - مثلًا - ألا يلهينا الحديث عن أزمة التفكير عن ممارسة فعل التفكير نفسه، كما لا ينبغى أن يرضينا الحديث عن ظاهرة الاجتهاد بدلًا من محاولة الاجتهاد ذاتها وهكذا.

الاجتهاد يعنى الحرية الفكرية الشجاعة التى تسمح بالإقدام على مراجعة المسلمات، بدءًا بتعريف المسلمات وإعلاء تفسير ما سبق تفسيره ولو اجمعت الاغلبية على قبوله.

لا شك أن قدر الاجتهاد الممكن يرتبط ارتباطًا مباشرًا بمساحة السماح المتاحة، وهذه المساحة ترتبط ارتباطًا مباشرًا بكل أنواع السلطة ومدى طغيان الأفكار الجاهزة والعقل المصرى إذ يستعد ليأخذ لوره فى الدورة الحضارية الجديدة عليه ان يبحث عن المقومات التى تؤهله لذلك، وأولها تحصيل كل المعطى من المعلومات المتاحة باعتبارها مجرد أجدية يصنع من حروفها كلماته الحضارية الجديدة المضيئة، ذلك انه يستحيل أن يكون للاجتهاد معنى أو قيمة أو جدوى اذا نبع من فراغ، فإن كثيرا من الأفكار التى تبدو أصيلة لا تدل إلا على جهل صاحبها، وضبط الجرعة بين الخضوع للموسوعية التحصيلية، وبين الإقدام على الاجتهاد الابداعي، هو الفعل اللازم لاتاحة الفرصة لنمو ثمار العقل بما يفيد ويبقى.

وأحسب أن تاريخ العقل المصرى لا يعلن تميزه بوجه خاص بفكر نظرى متكامل، يشير إلى قدرته على الاجتهاد الشامل المغامر، فحتى ثورة اخناتون العقلية التوحيدية لم تأخذ شكل النظرية المتكاملة بقدر ما اتصفت بالحدس الصوفى والفعل الثورى الاجتماعى معا، وقد يرجع ذلك إلى طبيعة العقل المصرى الإيمانى العملى معا، مما قد يعزى بدوره إلى طبيعة الارض المصرية واتصافها بالبسط الجغرافى مع ارتباطها بدورات النيل وخيرها المنتظم كل عام، ألا أن التاريخ يقول أيضا أن تفاعل الحضارة الاسلامية مع يقين استقرار العقل المصرى على فكرة الخلق قد

ينبغى - مثلًا - ألا يلهينا الحديث عن أزمة التفكير عن ممارسة فعل التفكير نفسه، كما لا ينبغى أن يرضينا الحديث عن ظاهرة الاجتهاد بدلًا من محاولة الاجتهاد ذاتها وهكذا.

الاجتهاد يعنى الحرية الفكرية الشجاعة التى تسمح بالإقدام على مراجعة المسلمات، بدءًا بتعريف المسلمات وإعلاء تفسير ما سبق تفسيره ولو اجمعت الاغلبية على قبوله

لا شك أن قدر الاجتهاد الممكن يرتبط ارتباطًا مباشرًا بمساحة السماح المتاحة، وهذه المساحة ترتبط ارتباطًا مباشرًا بكل أنواع السلطة ومدى طغيان الأفكار الجاهزة

ذلك انه يستحيل أن يكون للاجتهاد معنى أو قيمة أو جدوى اذا نبع من فراغ

أحسب أن تاريخ العقل المصرى لا يعلن تميزه بوجه خاص بفكر نظرى متكامل، يشير إلى قدرته على الاجتهاد الشامل المغامر

أن التاريخ يقول أيضا أن تفاعل الحضارة الاسلامية مع

سمح بنمو الافكار الاجتهالية المضئية، ومازالت مشاعل الشافعى أو ذى النون المصرى ترسل ضياءها حتى الآن.

على أن هذا الافتقار الى التنظير المتكامل لاينبغى أن ينقص من قدرتنا على الابداع والاجتهال الفكرى المغامر اذ يظهر فى المجالات العملية والتطبيقية اساسا ذلك أن مجرأ الاجتهال الفكرى اذا لم يلحقه تحقيق ثورى فانه يظل صورة فنية لا فاعلية لها، وهى أن لالت على شرف العقل وطموح الوعى فهى لا تعدو أن تكون زينة المكاتب - مثل جمهورية أفلاطون - لا جدوى ملموس يمكن أن يقاس مع امتداد الزمن غير المحدود للوعى البشرى، كذلك فإن العكس صحيح، إذا لابد أن نعترف أن التغيير الثورى إذا لم يرتبط باجتهال فكرى مسبق فى العالمة فإنه يخاطر بلا ضمان.

والمشاهد الأمين لمراحلنا الراهنة لابد وأن يلاحظ أن العقل المصرى يتمطى فى تكاسل خائف بعد طول سبات، وهو يتحسس طريقه بين شواهد القبور ومعلقات المتاحف، وعلى ذلك فإن اجتهاله محدود محدود محدود، وينبغى ألا نعجب ونحن نقلب صفحات التاريخ القريب فلا نجد نظرية مصرية صدرت فى ماهية الانسان وتفسير الحياة، ونمائية الوجود، اللهم إلا رسالة مطولة من فنان رائد الى قارىء ذكى (تعالية الحكيم) ومقالا مسلسلا هرمى القوانين كتبه جراح عظام من هواة الفلسفة (وحدة المعرفة لأستاذنا . محمد كامل حسين)، وعلى حد علمى فان موسوعية استاذنا العقل الحافلة، وحتى أصلاحية عميدنا طه حسين الناقد لم تقدم أى منهما على اجتهالات شاملة متكاملة، ومشاعل النقل الأمين التى حمل لواءها رول الجيل السابق من أمثال أستاذنا زكى نجيب محمود وأحمد أمين وسائر من أثرانا بأبجدية المعرفة من كل صوب وحذب من أساتذة الجامعات ورهبان المكتبات والمعامل، كل هؤلاء الروال كانوا يمهدون لنا طريق المعرفة حتى نستطيع أن نستعمل أبجديتها فى صياغة كلمتنا الجديدة بما يناسب لغة العصر واحتياجاته.

والآن أين من سيقولها؟؟ وكيف السبيل؟؟

إذا كان لنا أن نأمل فى أن نقوم بدورنا فى ثورة الحضارة الجديدة فلا بد من مقومات أساسية ليكون الاجتهال هو شرف العقل ومسئولية الوعى فعلا، فلا يقتصر على تعديل هذه الجزئية أو يكتفى باعلا تفسير تلك الصورة الثابتة، وأرى أن من أهم تلك المقومات على سبيل المثال :

1 - ضرورة زيادة مساحة السماح، لا من جانب السلطة بأنواعها فحسب، وإنما من جانب الاحتكارات العملاقة لأسواق الأفكار سابقة التجهيز، سواء المصنعة فى المصانع السلفية المسلحة، أو المستوردة من بلاد اليأس والقهر والغرور، مع التنبيه على أن أخطر أنواع القهر الآتى من هذه المصار هو ما تغلغل فى النفس حتى ليصبح قهرا إخليا يمنع إعلا التفكير أو حتى مجرأ الحلم فيما هو مفروض أو مقرر، وبهذا يصبح الانسان سجين ما وضع فى إخله وليس فقط ما وضع حوله من أسوار خارجية.

2 - ضرورة تناقص الشعور بالنقص تدريجيا (بما يشمل تناقص نقيض النقص ومكافئه وهو

يقين استنفار العقل المصرى على فكرة الخلود قد سمع بنمو الافكار الاجتماعية المضئية

لا بد أن نعترف أن التغيير الثورى إذا لم يرتبط باجتهاد فكرى مسبق فى العادة فإنه يخاطر بلا ضمان.

وينبغى ألا نعجب ونحن نقلب صفحات التاريخ القريب فلا نجد نظرية مصرية صدرت فى ماهية الانسان وتفسير الحياة، ونمائية الوجود

على حد علمى فان موسوعية استاذنا العقاد الحافلة، وحتى أصلاحية عميدنا طه حسين الناقد لم تقدم أى منهما على اجتهادات شاملة متكاملة

إذا كان لنا أن نأمل فى أن نقوم بدورنا فى ثورة الحضارة الجديدة فلا بد من مقومات أساسية ليكون الاجتهاد هو شرف العقل ومسئولية الوعى فعلا

ضرورة زيادة مساحة السماح، لا من جانب السلطة بأنواعها فحسب، وإنما من جانب الاحتكارات العملاقة لأسواق الأفكار سابقة التجهيز، سواء المصنعة فى المصانع السلفية المسلحة، أو المستوردة من بلاد اليأس والقهر والغرور

أن أخطر أنواع القهر الآتى من هذه المصادر هو ما تغلغل فى النفس حتى ليصبح قهرا داخليا يمنع إعلا التفكير أو حتى مجرد الحلم فيما هو مفروض أو مقرر

يصبح الانسان سجين ما وضع فى داخله وليس فقط

الشعور بالغرور أو الاستهانة) وذلك من خلال استمرار فعل المعرفة منذ الولادة وحتى الموت (قبل وبعد ولون المدرسة والجامعة والمعهد والمعمل .. الخ)

3 - الإصرار على استمرار الاستقرار مع أكبر لدرجة من التفاعل الحى الداخلى، فالاستقرار سوف يتيح الفرصة لاختيار الأفكار إذ يمنع اجهاض أجنة الاجتهال أولا بأول، والحركة التفاعلية الصحية سوف تضمن ألا ينقلب الاستقرار إلى مجرد موت تسكينى هامد.

4 - تنمية القدرة على الخطأ، وقبول شجاعة التراجع بمسئولية ومرونة.

5 - تشجيع التفكير المخالف والتدريب على حق إعلاء النظر فى كل شىء: ملام الحوار متصلا والبقاء للأصلح وما ينفع الناس هو الذى يمكن فى الأرض.

وأخيرا: فلا شك أن زيادة مساحة السماح لولون بذور اجتهالية كافية ونشطة قد يسمح لكثير من الحشائش الضارة أن تنمو، ولكن علينا الا نخشى ذلك، لأنها سرعان ما ستتضاءل بجوار الثمار النشطة نتاج هذا العقل المصرى الجدير بكل احترام القائل على كل إثمار.

وبهذا وحده نكون قد اكرمنا عقولنا التى وهبها الله تعالى لنا باستخدامها فيما خلقت له، ومن ثمّ نكون أهلا لحمل أمانة التفكير.

[1] - نشرت بالأهرام بتاريخ: 13-4-1980

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD261220.pdf>

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقى بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2020 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها 20 من التأسيس و 18 على الوبج

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

اشتراكات العضوية

عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز"

عضوية "الشريك الفخري الماسي"

عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

اهداء العضوية

- عضوية " الشريك الراسخ في العلم " ( عضوية فخرية )

- عضوية "الشريك المميّز " ( عضوية الشرفية )

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

ما وضع حوله من أسوار خارجية.

ضرورة تناقص الشعور بالنقص تدريجيا (بما يشمل تناقص نقبض النفس ومكافئه وهو الشعور بالغرور أو الاستهانة) وذلك من خلال استمرار فعل المعرفة منذ الولادة وحتى الموت

تنمية القدرة على الخطأ، وقبول شجاعة التراجع بمسئولية ومرونة

تشجيع التفكير المخالف والتدريب على حق إعلاء النظر فى كل شىء: مادام الحوار متصلا والبقاء للأصلح وما ينفع الناس هو الذى يمكن فى الأرض